http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (2165) السنة الثامنة - الاحد (19) حزيران 2011

الصحافة الثقافية..

خبـــرة وتـصـــورات*

عبد الزهرة زكي

ربما كنت محظوظا، وأنا الذي أحسب دائما أن الحظ يجافيني، في صلتي الأولى بالصحافة الثقافية، حيث كنت فيها مدعوا إلى النشر قبل أن أتقدم إليه.
في احد أيام العشرة الثانية من شهر أيار عام ألف وتسع مئة وخمسة وسبعين، كنت في حديقة مستشفى الثورة العام (مستشفى الإمام علي حالياً) أتهيأ لامتحانات البكالوريا الإعدادية حين جاءني الصديق الشاعر الشهيد (أو المفقود، حيث لم يعرف مصيره بعد محاولة هروبه من البلد في مستهل الثمانينيات عن طريق كردستان العراق) غازي الفهد، وقال لي: إن الشاعر سعدي يوسف يريد أن تزوره في مكان عمله.

عبد الزهرة زكي

درس من السبعينيات

كنا، أنا وغازي، قد بدأنا معا مغامرة الدخول إلى عالم الشعر، التقينا صدفة في مهرجان طلابي للشعر، قرأ فيه معنا فاروق يوسف ومالك الواسطي وسلام الواسطي وآخرون لا أتذكرهم الآن..شعرنا في المهرجان، أنا وغازي، بأننا متقاربون فكريا، فبدأنا صداقة عميقة، بدأت بتخلي غازي عن قصيدة العمود الشعري، وواصلنا كتابة شعر التفعيلة، وكان كلانا يقرأ ويتأمل أكثر مما يكتب...يحتفظ غازي بنصوص لي وأحتفظ بنصوص له، ونتبادل الكتب، ومعا قرأنا عصر السريالية لوالاس فاولي والشعر والتجربة لأرشيبالد ماكلش وواقعية بلا ضفاف لروجيه غارودي، وهي كتب ثلاثة أذكرها بالتخصيص لكونها أسهمت في تشكيل وعينا الشعري المتحرك في شبابنا الغض آنذاك.

سألت غازي مندهشا: "هل أنت جاد؟ وما الذي يريده مني سعدي يوسف، أنا طالب الإعدادية، وهو الشاعر الأكثر نجومية عراقيا وعربيا؟"

وأجابني غازي: "يريد أن يستأذنك في نشر قصيدتك (هي تخشى البحر) في طريق الشعب"..ثم قال: "كانت معي وأراد أن يقرأ شعرا لشعراء شباب..عرضتها عليه، فطلب حضورك..".

تساءلت وأجبت: ينشرها ويستأذنني؟ لينشرها..

لكن فهمت من غازي الفهد حينها أن الأمر أكبر مما أتصور..ذهبنا في اليوم التالي إلى سعدي يوسف..وجدناه يبيض بخط يده الأنيق قصيدة جديدة له..أعطاني القصيدة بتواضع شاعر كبير، وطلب رأيي فيها. قلت جملتين أو ثلاثا، وأنا متلهف، أريد أن اترك الكلام له لأسمع ما يريد مني ومن قصيدتي..

لم أفاجأ بطلبه الموافقة على نشر القصيدة.. لكني فوجئت باستئذانه أن يكتب تقديما لها، ضمن زاويته الأسبوعية في طريق الشعب (قصيدة أحببتها) التي تتضمن نشر قصيدة مشفوعة بتوطئة مكثفة يسوغ فيها سعدي يوسف حبه واختياره لتمييز هذه القصيدة عن سواها مما ينشر من شعر في الجريدة.

يومها كانت ثقافية طريق الشعب هي الأهم في صحافة العراق..وتتأتى أهميتها من مجال نشر الشعر، في الأقل، من الضوابط الفنية الصارمة في الإختيار، وأن تنشر قصيدة في طريق الشعب يعني أنك في صباح اليوم مقروء من جميع أدباء ومثقفي العراق إضافة إلى قراء الجريدة النوعيين..شكرته مسبقا، غادرت ولم أصدق ما جرى حتى وقعت عيناي على القصيدة منشورة بعد يومين وقد تصدرتها توطئة الشاعر الكبير المكثفة التي أعدت قراءتها مرات حتى حفظتها عن ظهر قلب قبل أن ينسيني إياها تراكم السنين والمحن والمشقات.

كانت تلك صلتي الأولى بالصحافة الثقافية، كنت فيها متعاملا مع تلك الصحافة وليس عاملا فيها..وكانت التجربة درسا بالنسبة لي بقي يحضرني طيلة عملي التالي في الصحافة الثقافية..تعلمت منه أن المحرر يسعى في جانب أساسي من عمله الى التحري عما يفيد سياسته في النشر ولا يبقى ينتظر فقط ما يصل إليه عبر البريد من كتاب ومشاركين، هم عادة يكتبون على وفق حاجاتهم ومتطلباتهم الثقافية وسواها، وليس بالضرورة أن تتوافق تلك الحاجات مع حاجات ومتطلبات الصفحة الثقافية وسياستها وطبيعة أهدافها..ولا تتوفر هوية خاصة بالصفحة أو المطبوع الثقافي بشكل عام من دون تلك السياسة والأهداف كما لا تتوفر على جمهور يتابعها ويتوقع منها ما يناسب حاجاته.

محرر/ رقيب/ فاحص

هذا المفهوم سيصطدم مع قناعات أخرى ويتعارض معها..فالكثير من القناعات، خصوصا لدى الزملاء الأدباء تذهب الى أن حرية وحق النشر يفرضان على المحرر أن ينشر كل ما هو صالح للنشر..المحرر على وفق هذا التصور هو مجرد رقيب أو قارئ أو فاحص نصوص جيد يقرر الصالح وغير الصالح لينشر ويرفض..وعلى وفق هذا التصور فإن الصفحة أو المطبوع هو نشرة عامة وجدار حر مفتوح، تجد فيه أنت، كقارئ، ما تحتاجه وما لا تحتاجه، ويرى هذا التصور أن مثل هذه السياسة تؤمّن جمهورا عريضا ومتنوعا للصفحة والمطبوع.

لكن ليس في بال الصحافة وخبراء الإعلام أن جريدة ما، مجلة ما، إذاعة ما، أو تلفزيونا يمكنه استقطاب كل الجمهور..ذلك مستحيل باستحالة حصر اهتمامات الناس وثقافاتهم وحاجاتهم وحتى البيئة التي يحيون فيها.. في العراق لا نتوفر على جهات تنظم بمهنية وحيادية استطلاعات عن اتجاهات الرأي العام، وينطبق هذا على الكثير من دول المنطقة والعالم المتخلف الذي لا يعير بالا للرأي العام ولا يقيم حساباته وسياساته على أساس اعتبار الرأي العام..لكن في الدول المتقدمة، خصوصا المتقدمة سياسيا، وأعني دول الديمقراطيات العتيدة، تشكل استطلاعات الرأي العام عاملا مهما وحاسما في التخطيط والعمل في معظم المجالات، ومن بينها المجال الإعلامي.

في الإعلام تحرص الصحف والقنوات والإذاعات على متابعة موقف واتجاهات الرأي العام، وتجري هذه الوسائل الإعلامية تصنيفا لأنماط ومستويات جمهورها وعادات تلقيهم المادة الإعلامية، ومن ثم فهي تبني خططها وسياساتها، وتطوِّر أساليبَ عملها في ضوء ما يتوفر لها من معلومات عن طبيعة جمهورها..

ليست هناك صحيفة تقول إنها تصل الى الجميع وإنها تستهدف الجميع..الصحيفة التي يشتريها الأساتذة والنخب المختلفة لها أخبارها وتقاريرها وموادها الثقافية والمنوعة التي هي غير أخبار وتقارير ومنوعات وثقافيات صحيفة أخرى يتداولها الشباب وطلبة الجامعات مثلا.

تغيب عنا استطلاعات الرأي ويغيب الاهتمام بالتخصص وتحديد طبيعة الجمهور ويغيب حتى التخطيط وتقرير توجهات العمل.. ويبقى الفاعل وحده قناعات ووعي المحررين، ويصادف لدينا في وسيلة إعلامية واحدة أن تجد تضاربا في السياسات بين صفحة وأخرى، وتستطيع أن تعزوه الى تضارب توجهات تفكير ومستويات التأهيل المهني للصحفيين في الصحيفة الواحدة.

وإذا بقينا في حدود الصحافة الثقافية سنجد أن المحررين عادة ما يكونون أساسيين في تقرير التوجهات الثقافية لمطبوعاتهم.

ثقافية..أم أدبية؟

وفي الغالب الأعم، عادة ما يكون هؤلاء المحررون، وأنا منهم لسنوات طويلة، قادمين من الوسط الأدبي، ويندر أن تجد محررا ثقافيا غير متورط بالشعر أو القصة وبحدود أقل النقد الأدبي..ومثل هذا التأهيل والتخصص يلقي بظلاله الثقيلة على طبيعة الصفة الثقافية للمطبوع..حتى بات لدينا تصور أن الصفحة الثقافية هي صفحة أدب وقد يضطر المحرر أحيانا الى التخفيف من الوطأة الأدبية فيضيف الفن الى دائرة اهتمام مسؤوليته.

جمهرة الأدباء من شعراء وكتّاب هي الأخرى تمارس ضغطا من أجل تكريس الصفة الأدبية في صفحات الثقافة ومطبوعاتها..وهذه الجمهرة محكومة بعاملين: أولهما شحة منافذ النشر المتخصصة وثانيهما الانسجام مع تقاليد تكرست في عقود سابقة في الصحافة العراقية حين كان جمهور القراء يتحرى أديبه المفضل في هذه الصحيفة أو تلك، وبقي هذا التقليد مستمرا على الرغم من أن اهتمامات الجمهور قد تغيرت وتغيرت أيضا الطبيعة الأدبية..

ونستطيع الآن الرجوع الى عدّادات القراءة في الموقع الإلكتروني لأية صحيفة لنعرف المستوى المتدني من إقبال متصفحي المواقع على المادة الأدبية، وخصوصا النصوص الأدبية، من شعر وقصة إلا باستثناءات محدودة، ولا تبنى على الإستثناء قاعدة..طبعا هذا لا صلة له بالقيمة الفنية أو التعبيرية للنصوص، لكن له صلة في أن هذه النصوص وضعت في غير المكان المناسب لعرضها..وأتحدث هنا عن الصحافة اليومية وصفحاتها الثقافية، وهي صحافة تتوجه عادة إلى قراء عامين، من النادر أن ينشغل اهتمامهم بأدب حديث، ويكاد ينصرف سبب اقتنائهم الجريدة لغايات ومتطلبات قد لا يكون حتى في ذيلها البحث عن نص شعري أو قصصي.

ومثل هذا الحال يضر بالنص الذي يوضع في غير موضع تداوله كما يضر بالصحيفة نفسها التي تخسر مساحة كان من الممكن استثمارها جيدا لصالح توسيع رقعة الإقبال عليها، كما هو مضر بالمقتني الذي يشتري بضاعة يحتاجها ويقبل بشرط شراء بضاعة معها لا تشكل له أية حاجة.

تدمير الصفحة الثقافية

في الثمانينيات والتسعينيات تضررت الصحافة كثيرا بنوع من الأدب الاستهلاكي السياسي الدعائي..ومع توريطها بمثل هذا النوع من الأدب بدأت تفقد شيئا فشيئا كثيرا من متابعيها، إضافة إلى توريطها بالتوجيهات والضوابط في كل ما تنشر.

سأسوق مثالا عن تجربة نشر الشعر في صحيفة الجمهورية التي كنت أدير قسمها الثقافي.. تسلمت مسؤولية القسم عام ١٩٩٣، وكنت في العامين الأولين أكثر حرية في التعامل مع طبيعة المواد واختيار ما أراه مناسبا في ضوء قناعاتي الشخصية، قلصت مساحة الشعر الى أدنى حد ممكن، وأبقيت على نشر النصوص المتميزة مما كان يكتبه أدباء العراق وخصوصا الشبان آنذاك مع هامش لقصيدة عمودية اسبوعيا مما يستجيب لمتطلبات سياسة الجريدة والسياسة الثقافية للبلد بشكل عام في تلك الظروف..واستعنت من أجل تنفيذ هذه السياسة، بهدوء.. وبما لا يثير الانتباه، باستحداث صفحات متخصصة يصعب أن يجد الشعر مكانا له فيها بفعل تخصصها.. كانت صفحة تراث التي استمرت عاما مهمة في تقديم قراءات حديثة للتراث واختيار مفاصل منه ممكن التعامل معها بتلك القراءات من دون مشاكل..كما نجحنا في استحداث لأول مرة في الصحافة اليومية، صفحة للثقافة الشعبية، استحدثنا صفحة للترجمة وأخرى لعروض الكتب الجديدة..وهكذا.

مثل هذا الحال أزعج كثيرين..تبرع مرة أحدهم بكتابة تقرير إلى وزير الإعلام متسائلا: أين ثقافية الجمهورية مما نحن فيه من تحد ومواجهة ومؤامرات..تبرع ثان مرة أخرى ليكتب في صحيفة أخرى ضد محرر الجمهورية الثقافي وكتاب فيها، واصفا إياهم بأدوات الريح الصفراء ومنفذي سياسات السي آي أي وأيتام طريق الشعب، هكذا في خلطة واحدة أصبحنا إيرانيين وأمريكيين وشيوعيين في آن.

بعد عام ١٩٩٦ جرى تقليص هامش الحرية المتاح لي، كمحرر، وبدا البلد كما لو أنه ينفجر بشعر عمودي راح شعراؤه يتبارون في طول القصيدة التي لن تكتمل قيمتها من وجهة نظرهم وربما وجهة نظر السلطة أيضا ما لم تحتل مساحة الصفحة بكاملها..حينها تحطمت الصفحة الثقافية للجريدة..بعد عام تخليت عنها وتسلمها زميل آخر، لكن بعد فترة أعدت إليها بين ترغيب وترهيب، ولم تجِد أربعُ استقالات نفعا في التحرر من كابوس الصفحة ومشاكلها..

موقف للصحّاف

في السنة التي عاد فيها محمد سعيد الصحاف وتسلم وزارة الإعلام، أراد اللقاء بمسؤولي صفحات جميع الصحف ورؤساء ومديري وسكرتيري تحريرها للوقوف على أسباب انحطاط الصحف العراقية على حد تعبيره هو الذي قال، وكان محقا، إن صحف جيبوتي والصومال أفضل من صحفنا..وكان أن بدأ بجريدة الدولة وهي جريدة الجمهورية فالتقى بنا عصرا في مكتبه بالوزارة..وهذه الحادثة جميع شهودها أحياء (باستثناء المرحوم جياد تركي)، توجه لي في ذلك اللقاء بالسؤال: وأنت مسؤول الثقافية..لماذا صفحتك رديئة بينما العراق بلد الثقافة والمثقفين؟..وحقيقة لا أدري ما إذا واتتني شجاعة أم رعونة فأجبته مباشرة: الشعر..الشعر العمودي؟ قال: ما به؟ قلت له: خلصني من الشعر العمودي وحاسبني بعدها على قيمة الصفحة..استغرب الجواب، وسألني ثانية: ومن يرغمك على نشره؟

هنا ترددت للحظات..لكن كان لا بد من الإجابة، قلت: هو شعر في مدح السيد الرئيس والجريدة جزء من سياق عام في البلد..وهذا السياق يتطلب هذا الشعر، ولا يمكن لي او للجريدة أن نكون خارج هذا السياق.

يتذكر الزملاء الحاضرون لحظتها أن الصمت الذي ساد المكان كان أكثر هوّةً من وادٍ سحيق.. حدق كل الأصدقاء بي، ثم انحنوا علىَ الطاولة قلقين متشاغلين عما يحدث..لكن الرجل الصحاف وللأمانة كان أكثر خُلقا مما تصورت قبل هذا ومما تصورته عليه في أثناء الحرب.. قطع الصمت واحتمالات التفسير السيئ لما قلته، وهو يتحدث بنبرة هادئة: أنت تعرف أستاذ عبدالزهرة أن البلد في مواجهة ويتعرض إلى مؤامرة، والشعر مهم في مثل هذه الحالات، وهو مطلوب لتعزيز معنويات مواطنينا..لم أجد ما أقوله للوزير، وقد بدا عليه أنه يريد أن يتخلص ويخلصني من ورطة أوقعتُني وإياه فيها، وكنت سأدفع ثمنها باهظا، سوى بالقول: نعم سيادة الوزير.. وأدار السيد الوزير وجهه عني منهيا الحديث: لنتحول الى صفحة أخرى. لنتحدث عن الأخبار..تنفست الصعداء، ونظر لي الزملاء باستغراب واندهاش.

طبعا كان هذا في ظرف آخر وسياق سياسي وثقافي آخر غير ما نحن عليه الآن..كان عدد الصحف محدودا، وكان الجوع، وكانت الدولة تغري، ربما لم تقسر أحدا على الكتابة..لكن إغراء الجائع بالتلويح له بالخبزة أمر أشد فظاعة من القسر.

الآن، تعددت وسائل الإعلام وتنوعت.. وتوفرت فرص النشر في المطبوعات والمواقع الإلكترونية المتخصصة، وبما يمكن أن يعين المحرر الثقافي على التحرر من ضغط جمهرة الأدباء والكتاب الذين أتيح لهم أيضا التحرر من سلطة المحرر الثقافي وتعسفه في أحيان كثيرة، وذلك بتنوع سوق العرض أمامهم وبكثرة الأسواق أيضا.

وفيما كانت الصحافة الثقافية تقتصر على المطبوعات.. وفيما بحدود أقل أسهم العمل الإذاعي في نشر وتقديم وترويج المادة الثقافية وأخبارها، فإن التلفزيون دخل بقوة إلى الميدان قبل أن تشاركه هذا الحضور القوي مواقع الانترنيت الثقافية..ويبدو الآن أن أفضل الكتاب والمتعاملين مع الصحافة المطبوعة لا يفضلون التعامل مع مَن من تلك الصحف لم تدعم فاعليتها الورقية بفاعَلية إلكترونية، هي الأكثر رواجا وانتشارا والأوسع والأسرع في الوصول إلى كل أركان المعمورة..

الفيسبوك سيغير أساليب الكتابة

وبفعل وجودي على الفيسبوك لاحظت أن هذا الموقع الخطير والذي حمل على متنه رياح التغيير العاصفة عربيا، قد فتن بعالمه الإتصالي التداولي الإجتماعي قطاعا واسعا من المثقفين الكتاب والشعراء والفنانين من مختلف أصقاع العالم..وبات التفاعل بين الخبرات على فضائه أكثر فاعلية، مما يشجعني على التوقع أن الفيسبوك وما قد يطرأ من تطورات على شبكة الإنترنيت سيلقي وتلقي بالظلال حتى على أساليب التأليف وطبيعة الإهتمامات والأشكال والموضوعات..

مع الانترنيت ستتغير عاداتنا في التلقي وفي الإنتاج معا..الآن يتلقى الشاعر ردود أفعال مباشرة على عمله من مستويات تلق متنوعة ومتباينة، صحيح أن بعضها مجامل.. ولكن حتى المجاملات هي أشكال تعبيرية عن التلقي إذا ما أحسن فهمها وفهم الإضطرار إلى المجاملة، وقد يقابل الكثير مما ينشر على جدران مشتركي الفيسبوك بالإهمال، وهذا أيضا مستوى تعبيري من مستويات التلقي يؤثر بطريقة ما، مباشرة أو غير مباشرة، بالتقويم. إن نتائج الوجود على الإنترنيت ستجد صداها على الأدب والثقافة والفنون مثلما ألقت الطباعة وقبلها اختراع الكتابة بنتائجهما على تلك الحقول وغيرتاها ومعها غيرتا العالم.

وفي التلفزيون، نستطيع مثلا أن نشير إلى أن برنامجا مثل برنامج (أبواب) الذي تقدمه قناة الحرة أسبوعيا بات ينافس ويتقدم على كثير من المطبوعات الثقافية المحلية، سواء في مساحة انتشاره وكثافة مشاهدته، أو في أسلوب تحرير واختيار مادته الخبرية الثقافية وطبيعة اختيارها..لكن التلفزيون بشكل عام صار يقدم المادة الثقافية بطرق أكثر فاعلية مما متاح للصحافة المطبوعة، والمادة الثقافية لم تعد تقتصر على الأخبار السريعة، بل تجاوزتها إلى التقارير والأفلام الوثائقية، إضافة إلى البث الحي والمسجل لفعاليات ثقافية، وبالأخص في مجال الفنون، وبما يفوت الفرص على الصحافة المطبوعة التي خسرت رهان التنافس على السرعة والسبق مع التلفزيون والإنترنيت..وحتى في مجال عرض الكتب وتقديمها، فإن التلفزيون حظي بقيمة تنافسية يعتد بها مقابل الصحافة الورقية، ويكفي أن نشير إلى برنامجا شهيرا مثل برنامج أوبرا قبل أن توقفه أوبرا مؤخرا قد أسهم في ترويج كتب اختارها، وتمكن بهذا حتى من التأثير على سوق الكتب وطبيعة اهتمامات الناشرين.

لا بد من التغيير

الصحافة الثقافية المطبوعة اذا أرادت البقاء في هذا التنافس المحموم لا بد لها من تغيير ليس أساليبها وطبيعة اهتماماتها حسب، وانما حتى اختيار زوايا نظر لا تتاح للتلفزيون والإنترنيت..

وحتى نكون عمليين ومنتجين، أرى أن المشكلة، مشكلة النهوض بصحافة ثقافية جديرة بالقراءة والإهتمام هي مشكلة مشتركة بين المؤسسات والمحررين والكتاب المتعاملين مع الصحافة.

× لا ينبغي للمؤسسات أن تنظر إلى الصفحة الثقافية على أنها صفحة تكميلية، تعمد في ضوء هذه النظرة إلى حشوها بمواد وموضوعات وأخبار منقولة عن مواقع إلكترونية متخصصة أو مواقع إلكترونية لصحف صادرة خارج البلد، وتكون الطامة الأكبر حين تنقل بعض الصحف من مواقع صحف محلية.

× بسبب هذه النظرة وبقصد توفير النفقات تميل كثير من المؤسسات إلى عدم دفع أجور للمواد الثقافية المنشورة فيها، وهذا ما يجعلها موئلا لمواد هابطة لا قيمة لها، ويجعل من صفحتها الثقافية بلا طعم ولا هوية.

× لا ينبغي لمحرر الصفحة الثقافية أن يرى أن مهمته هي مهمة حاجب، يسمح بدخول هذه المادة ويمنع سواها..مهمة المحرر هي معرفة ماذا يريد أن يفعل ولماذا أولا؟ والتخطيط لبلوغ السياسة التي يريد ثانيا وإقامة شبكة علاقات واتصالات حيوية ثالثا، تخدم رسالة سياسته الثقافية في الصفحة، وهو بالتالي مسؤول أمام مؤسسته عن مدى جدوى هذه السياسة وفاعليتها في تعزيز قيمة الجريدة وتداولها.

× على الكاتب المتعامل مع الصحافة أن يكون دقيقا في اختيار المطبوع أو الوسيلة الإعلامية الأكثر حاجة إلى منتجه الثقافي والأجدر في عرضه في سوق تداول الثقافة، كما عليه احترام حق المحرر الثقافي في التعامل مع كتاب محددين يناسبون مطبوعه وعمله وسياسته..

لم نعد أمام خمس صحف أو أربع ومضطرين إلى البحث عن فرصتنا في إحداها..اليوم أصادف كاتبا يكتب في جريدتين أو ثلاث في وقت واحد، ومن الغريب أن هذه الصحف قد تكون متعارضة مع بعضها في كل شيء، وهو ما يضع هذا الكاتب أمام التساؤل عن مدى جديته في النشر وعن أهدافه منه.

أثناء عملي رئيساً لتحرير صحيفة الصباح، صادفت من الزملاء الأدباء من يقول بحقه في النشر في الصباح ما دامت الصباح صحيفة الدولة، ويعيب على محرريها الثقافيين كثرة تكرار أسمائهم في الصفحة وفي الملحق اسبوعيا، إضافة إلى اختيار كتّاب محددين يشكلون عماد النشر الثقافي في الصحيفة.. وكنت أرى أن هذا الحكم ظالم وقاس ولا يتفهم أن المحررين يتقاضون رواتبهم اعتمادا على إنتاجيتهم وإدامتهم صفحاتهم وملحقهم بالأخبار والتقارير والمقابلات، كما لا يتفهم حق الجريدة بوضع سياسة ثقافية تخص قناعات المكلفين بإدارتها وتحريرها ومستوى تأهيلهم المهني والثقافي، ولا يتفهم أيضا أنه لا الصباح ولا سواها تستطيع أن تمنح فرصا متكافئة لجميع كتّاب وأدباء العراق..هؤلاء الزملاء يستحضرون كل هذا ويطالبون به فيما هم ينسون حقا أساسيا لهم على الصباح وعلى شبكة الإعلام العراقي بوصفها جريدة وشبكة ممولة من المال العام ولكل عراقي حق فيها، ذلك هو حق مراقبة الجريدة والشبكة وتقويم أدائهما والإعتراض على إخفاقاتهما ودعم نجاحاتهما.

حين أسهمنا في تأسيس جريدة المدى عام ٢٠٠٣، كانت أنظار جميع الزملاء تتجه نحوي لتسلم مسؤولية العمل الثقافي فيها.. يومها رفضت واعتذرت، وكنت أرى بفعل خبرتي وعملي في الصحافة أن ما تحتاج إليه صحافتنا في العراق الجديد هم الصحفيون المتخصصون في مجالات الأخبار والسياسة والإقتصاد، وهؤلاء بقوا حتى هذه اللحظة يشكلون حاجة دائمة وملحة في الصحف وفي الإذاعات والقنوات التلفزيونية، فضّلت لاعتبارات وطنية أن أعمل في واحد أو أكثر من هذه المجالات، واعتذرت لسبب آخر عن العمل الثقافي في جريدة يومية، سبب تعرفت عليه بفعل خبرتي السابقة وهو أن أصعب عمل في الصحافة العراقية هو العمل في صفحة ثقافية تكسبك حتما محبة بعض أصدقائك من المثقفين وتفقدك صداقة أضعافهم..وليس ثمة ما يستحق خسارة صديق ما دام تفادي خسارته ممكنا.

.نص محاضرة الشاعر في اتحاد الأدباء في يوم عيد الصحافة في الأربعاء الماضية.

× نص الورقة التي القاها الكاتب في اتحاد الادباء والكتاب

قناديل

تقاويم الزمن والسلطة المطلقة

■ لطفية الدليمي

أوقات الحماقة تقيسها الساعة،
وأوقات الحكمة لا يمكن لساعة أن تقيسه
وليم بليك

خدمَ واضعو التقاويم فكرة الشمولية والسلطة المطلقة، كما لو كان هناك زمن واحد ومجتمع واحد وحقيقة واحدة ، خدموا الرؤية الواحدة للكون ، نقضوا الاختلاف ، غادروا الجغرافيا و سكنوا التاريخ ، صنعوا لنا روزنامات وانواعا من التقاويم ، وحشرونا في اقفاص الزمن . ، ليس للزمن حقيقة ثابتة ككل شيء في هذا الكون الذي تنقض احواله النظريات المتغيرة كل آن ..

نعيش الآن في زمن المجاز ،نعيش عصر التزامن لا العصر الكرونولوجي هناك تقاويم متجاورة ومختلفة في معاييرها واحكامها ، طوعت حسب رؤى كهنة وحكام وربما سحرة ومشعوذين ، ولطالما قيل لنا ان التقاويم محاولة في تحقيق التناسق ، وقد تكون في الواقع محاولة مستندة إلى وهم التناسق بين الجغرافيا والزمن، فالعشوائية هي التي تتحكم الى حد بعيد بحركة العالم رغم مايبدو عليه من نظام صارم..

الحياة خارج التقاويم تقدم نفسها بلا تعهدات او مقدمات مثل ريح جامحة ، أو كوردة الحقول البرية ، تتفتح وتتألق وتجف وحدها وتنثر بذورها في عراء العالم ، لتعاود الظهور مرارا في دورتها الابدية ،

لاتتحمل الحياة الطليقة القياسات ، لاتحب حبس الزمن في التقويم ، لكن البشر المرتعشين خوفا من الموت يحاولون اقتناص الزمن وتدجينه في التقاويم كوسيلة شعائرية لدرء خطر الموت المتربص ، يتوهمون امتلاك الزمن والتحكم بالافق الذي يطل الموت عند حافاته القصوى، تقويم البوذية لا يبدأ من لحظة حياة وقيامة بل من سنة موت بوذا ،كأنه تعويذة للعود الابدي ، نقيض التقويم الميلادي الذي يؤشر ميلاد السيد المسيح .

روزنامة القمر اول تقويم بشري ظهر في مدينة نيبور (نفر) السومرية قبل نحو سبعة آلاف عام استخدموا فيه تحولات القمر ووجوهه وقد احتوى التقويم الذي وجده المنقبون في نفر على ارقام السنوات المتتابعة ، وليس غريبا على العراقيين القدامى ان يستكشفوا السماء ويتعلموا منها حساب الزمان فهم الشعب الوحيد ربما في هذه الارض ممن ينامون على سطوح المنازل هربا من حر الصيف اللاهب ، تتلألأ لياليهم بالنجوم وتسحرهم حركة الافلاك ، المتعبدون والعشاق يجافيهم النوم دائما فيكتب العاشق ليله شعرا ويعمد الكاهن الى حساب الزمن ليفتح المعبد صباحا ويقيم العبادة ويحرق البخور ويجمع عطايا الخائفين من آلهة سومر..

اهل سومر كانوا صيادين ومزارعين وملاحين دفعتهم مواجهتهم الدائمة للانواء الى اختراع تقويمهم القمري الزراعي ومعه اكتشفوا ان العالم يتجدد دوريا وإن نشأة الكون ستتكرر شعائريا كل سنة جديدة في الحضارات النهرية الزراعية ، فقد خبرت هذه الثقافات تجربة الزمن الكوني في الاعمال الزراعية ، ثم انتهى بها الامر بفرض فكرة الدورة الكونية على الانسان وبارتباط حياة الانسان بالنبات تتكرر الحياة بايقاع كوني لانهائي : ولادة –موت – عودة للحياة ، وهكذا كان الرافدينيون يحتفلون كل ربيع بقيامة تموز المختفي نصف عام في عالم الموتى ويعتبرون موعد قيامته بداية العام الجديد مع ظهور النباتات وتكاثر الكائنات باعتباره من طقوس مجابهة الموت ..

يقول العلم : فكرة الزمن غير واردة في الفطرة البشرية ، فالرضيع يعيش في الحاضروهو بلا ماض و لايمكنه تصور المستقبل ،وتختلف فكرة البشر في الثقافات المختلفة عن الزمن ويقال ان لغة هنود اميركا من قبائل هوبي المسالمة – تفتقر تماما إلى الصيغ الزمنية للدلالة على الماضي والحاضر والمستقبل فهم يعيشون في (حاضر لغوي) مستمر بلا انقطاع وتتمحور فكرة الزمن لديهم حول حصاد الذرة او ولادة المواشي ..

كان الانسان الفطري يعيش البرهة المخلدة او برهة الابدية الممتدة بلا قياس وبلا بداية اونهاية وهو ماتصورته نزعة مابعد الحداثة التي تعتنق سيولة الزمن ..

وقد وردت في بعض الاساطير و المعتقدات فكرة البراءة الاولى وأن الانسان نُفي من عهد البراءة – فسقط في المتاهة الكبرى – الزمن – ووجد نفسه بلا دليل ولا علامة تأخذه إلى طمأنينة القلب ومالبث –بعد أن اثقلت كاهله رحابة الحرية والزمن اللانهائي – ان وضع نفسه طوعا منذ تلك اللحظة – في قفص التاريخ وشرع يقسم المواقيت ، صار أسير الزمن المحدود المقنن بعد ان كان سيد الهيولى وحاكم الزمن السائل الدفاق يغترف منه بلا حساب ودون محاسبة من التقاويم وماتبعها من أغلال السلطة ، صار الانسان أيضا رهينة البيت الذي استعبده بالاستقرار المريح والبليد في احيان كثيرة ، وصار يتساءل بدافع وجودي محض :لماذا يستقر المرء في المكان والزمان والحياة تتبدد كل آونة ؟

مرارا كرر المتمردون السؤال عن تحايل الحكام ولعبهم بمادة الزمن ، ومرارا جوبهوا بالخذلان من أهل السلطة المئة او الفترات البرلمانية لامتصاص نقمة المحرومين والتحايل عليهم للتلبث في مواقع السلطة ..

دوريـــــات

"جاسم العبودي" في "شانو" الجديد

بشار عليوي

صدر حديثاً العدد الجديد رقم ٢٢ من مجلة (شانؤ) عن (فرقة مسرح سالار) في السليمانية . حيثُ جاء هذا العدد بقسم واحد هو العربي ، بعد أن قررت هيأة التحرير إصدار المجلة بشكل مُنفصل عن القسم الكردي ، لتُسجل بذلك المجلة ، تفرداً مُتميزاً في المسرح العراقي . حفل هذا العدد بالدراسات والنصوص والمقالات والبحوث المسرحية ، تواصلاً مع نهجها المعرفي بوصفها المطبوع العراقي الوحيد المتخصص بالآداب والفنون المسرحية والتي توزع مجاناً بتعضيد من حكومة إقليم كُردستان العراق . وتضم هيأة تحرير المجلة كُلاً من (أحمد سالار ــ صاحباً للامتياز/أرسلان درويش ــ رئيساً للتحرير د.فاضل خليل ــ مديراً لتحرير القسم العربي/ بشار عليوي ــ دلشاد مصطفى / أعضاء) . بداية نُطالع الافتتاحية بعنوان (كلمة المسرح العراقي) بقلم د. فاضل خليل ، فيما كتبَ رئيس التحرير أرسلان درويش (شانو باللغة العربية) ، كما نشرت المجلة نص رسالة يوم المسرح العالمي بقلم "جيسكا كاهوا ، ورسالة اليوم العربي للمسرح بقلم يوسف العاني . وضمن محور / دراسات ومقالات / نقرأ دراسة بعنوان (عبد الله كوران .. مسرحياً) لمثري العاني. ونُطالع أيضاً (التقاليد الفنية في المسرح المعاصر) بقلم يوري زفادسكي وي رانتر ، ترجمة د. فاضل سوداني. فيما كتب حسب الله يحيى (أسئلة سعد الله ونوس ، من الذاكرة والموت الى الطقوس والممنمات وما بينهما). ونقرأ دراسة لقاسم علوان بعنوان (مصادر قاسم محمد المسرحية) . وكتب د. أحمد محمد عبد الأمير دراس تعنونت بـ(ليبرالية العرض الدرامي الراقص في المسرح العربي ــ طلعت السماوي أنموذجاً) ، أما الناقد صباح هرمز فكتب (مسرحيات جليل القيسي) . ونشرت المجلة دراسة لسعد عزيز عبد الصاحب حملت عنوان (آليات اشتغال الممثل العراقي في المهرجانات الخارجية) . فيما كتب الناقد بشار عليوي دراسة نقدية جاءت تحت عنوان (جهود عامر صباح المرزوك في أرشفة المسرح الحلّي) . أما محور / ملف العدد / فقد خُصص ليكون عن مُنجز الفنان الراحل " جعفر السعدي " وتضمن المحور عدداً من الدراسات منها (مخرجون عملت معهم ، ليوسف العاني / قراءة في تجارب مسرحية عراقية المخرج جاسم العبودي ، لتيسير الألوسي / رائد الواقعية في المسرح العراقي جاسم العبودي، لعلي حسين) . وفي محور / مسرحية العدد / نطالع مسرحية (بقعة زيت) لمحود ابو العباس .